السنة السادسة والعشرون وأربع مئة

فيها استولى العيَّارون على بغداد، وملكوا الجانبين، ولم يبقَ للخليفة ولا لجلال الدولة حكم، وهجم بعضُ المماليك على دار الخليفة [ودخل بستانَه، وأكل من ثمرته ثم خرج، فكتب الخليفة إلى] الملك يطلبه، فضَعُف عن تحصيله[١]؛ لقلَّة الهيبة، فتقدَّم الخليفة إلى القضاة والفقهاء بترك الحكم والفتوى، ولا يعقد أحدٌ عقد نكاح، وأمر بغلق أبواب الجوامع والمساجد، وهيَّأ السفن لينحدر إلى البصرة، فحُمِلَ الغلامُ إلى دار الخليفة، فوكل به ساعةً، ثم أُطْلِقَ، وكان العيَّارون في دور الأتراك والحواشي يقيمون فيها نهاراً ويخرجون ليلاً، فيعملون العَمْلات، ومنعوا أهل المحالِّ النائية عن دِجلة شربَ الماء إلا بالخُفارة[٢]، وأخذوا الدراهم عن الزوايا، وكاشف اللصوصُ بالإفطار في نهار رمضان، وشرب الخمور، وارتكاب الفروج قهراً، ولم يمنعهم من ذلك أحد، وكان الجميع بمواطأة من الأتراك والحاشية، ولا حُكْمَ للخليفة ينفذ.

ومن العجائب أنَّ الخليفةَ ببغداد والملكَ والجندَ، وكان الأعراب يأتون إلى حيطان بغداد فيأخذون مَنْ خرج منها [ويبيعون الناس ويفادوهم مثل أسارى الروم، ولا ينتطح فيها عنزان].

وفيها ورد كتابُ مسعود بن محمود بأنه فتح جرجان وطبرستان، وغزا الهند[٣]، ففتح بلاداً كثيرةً، وسبى سبعين ألفاً، وقتل خمسين ألفاً، وغنم ما مقداره ثلاثون ألف ألف درهم.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ من العراق [خوفاً من الأعراب][٤].

---

(١) في (ف) وحدها: عن تخليصه.

(٢) الخُفارة هنا: الضريبة التي تؤخذ دون مقابل بتكملة المعاجم ٤/ ١٥٠.

(٣) بعدها في جميع النسخ كلمة غير واضحة، وأظنُّها مقحمة، فهي ليست في المصادر التي ذكرت الخبر. وينظر النجوم الزاهرة ٤/ ٢٨١، و تاريخ الإسلام ٩/ ٣٥٢.

(٤) هذه الزيادة من (م) وحدها.

وفيها تُوفِّي

أحمد بن كُلَيب[١]

الشاعر [الأديب] المغربي. ذكر له أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي في «تاريخه» [حكايةً طويلةً بألفاظٍ سمِجةٍ حاصِلها أنه] كان أحمدُ يهوى [غلاماً من أهل الأندلس يُقال له]: أسلم بن أحمد بن سعيد قاضي قضاة الأندلس، وكان أسلمُ من أحسن أهل زمانه، فافتتن به، [وكان أحمد بن كليب أديباً فاضلاً]، فقال فيه الأشعار، وأهدى إليه كتاب «الفصيح» لثعلب، وكتب معه [هذه الأبيات]: [من المجتث]

هـذا كـتـاب الـفـصـيـح ... بـكـلِّ لـفـظٍ مَـلـيـحِ
وهـبـتُـهُ لـكَ طـوعـاً ... كـمـا وهـبـتُـكَ روحـي

وشاع شِعْرُه فيه، [وغُنِّي فيه بالأسواق]، وكان أسلمُ يحضر المجالس للحديث، ويجلس على بابه، فامتنع من ذلك، فمرض أحمد [بن كُلَيب] من محبَّتِه. قال محمد بن خطاب النَّحْوي: فدخلتُ عليه وهو بأسوأ حال، فقلت له: ألا تداوى؟ فقال: دوائي معروف، ولا حيلةَ للأطباء فيَّ. قلتُ: وما هو؟ قال: نظرةٌ من أسلم، فلو سعيتَ في أمري بأن يزورني لأعظمَ اللهُ أجرك. فمضيتُ إلى أسلم وسألتُه فامتنع وقال: يكفي أنَّه فضحني وشبَّبَ بي وهتكني، وواحيائي من أبي. فلم أزَلْ أُرقِّقه حتى خرج فمشى معي، ثم خجل وعاد من بعض الطريق. [قال]: فدخلتُ على أحمد وهو ينتظرني، فلما رآني يئس وذهب عقله، [ثم آبَ إليه عقلُه] وقال: [من المخلع البسيط]

أسـلـمُ يـا راحـةَ الـعـلـيـلِ ... رفـقـاً عـلـى الـهـائـمِ الـنَّـحـيـلِ
وصـلُـكَ أشـهـى إلـى فـؤادي ... مـن رحـمـةِ الـخـالـقِ الـجـلـيـلِ

فقلت له: اتَّقِ الله، ما هذه [الكلمة] العظيمة[٢]؟ فقال: قد كان فخرجتُ من عنده، فما[٣] بلغتُ وسط الزقاق حتى سمعتُ الصُّراخَ [والنَّوح] عليه وقد مات، فكان أسلمُ إذا رأى غفلةً من الناس زار قبره. [وإنما أخذ هذا المعنى من المتنبي، وقد ذكرناه في ترجمته].

---

(١) المنتظم ١٥/٢٤٦-٢٥٠ ، ومعجم الأدباء ٤/١٠٨-١٢٦ .

(٢) في (خ): العصمة، والمثبت من بقية النسخ.

(٣) في (خ) و(ف): فلما، والمثبت من (م) و(م١).

الحسن بن أحمد[١]

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان، أبو علي، الرزَّاز، مُحدِّثٌ مشهور، بغدادي، ولد سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وسمع خلقاً كثيراً، وكان صالحاً صدوقاً ثقةً.

قال محمد بن يحيى الكرماني: كُنَّا يوماً بحضرة أبي علي بن شاذان [إذ دخل شابٌّ لا يعرفه منَّا أحد، فسلَّم علينا وقال: أيُّكم أبو علي بن شاذان؟] فأشرنا إليه، فقال: أيها الشيخ، رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام، فقال لي: اذهَبْ إلى أبي علي بن شاذان، وأقرِئْه عنِّي السلام. فبكى أبو علي وقال: ما أعرِفُ لي عملاً أستحِقُّ به هذا إلا أن يكون صبري على قراءة الحديث عليَّ، وتكرارُ الصلاة على رسول الله ﷺ كلَّما جاء ذِكْرُه. قال: ولم يكتُبْ أبو علي بعد ذلك إلا شهرين أو ثلاثة حتى مات في المُحرَّم، ودُفِنَ بمقبرة باب الدير.

[وفيها تُوفِّي]

الحسن بن عثمان[٢]

ابن أحمد بن الحسين بن سَوْرة، أبو عمر، الواعظ، البغدادي، ويُعرَفُ بابن الفَلْوِ، وُلِد سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وسمع الحديث، وكان سخياً، ومن شعره: [من الطويل]

دخلتُ على السلطانِ في دار عِزِّهِ ... بفقرٍ ولم أجلِبْ بخيلٍ ولا رَجْلِ
فقلتُ انظروا ما بينَ فقري ومِلْكِكُمْ ... بمقدارِ ما بين الولايةِ والعَزْلِ

وكانت وفاته في صفر، ودُفِنَ بباب حرب.

---

(١) تاريخ بغداد ٧/ ٢٧٩ـ٢٨٠ ، وتبيين كذب المفتري ص٢٤٥ـ٢٤٦ ، و المنتظم ١٥/ ٢٥٠ . وينظر السير ١٧/ ٤١٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٦٢ ، و المنتظم ١٥/ ٢٥٠ـ٢٥١ .